

دور الإحالة في تحليل النصوص العربية: "الحديث التاسع والعشرون النوويّ نموذجاً"

إعداد

د. عبد الهادي أديني صلاح الدين

قسم اللغة العربية، كلية اللغات والدراسات الإعلامية،
جامعة إبراهيم بدماصي ببنغدا، لابي، ولاية نيجيا، نيجيريا
dr.hadiadeniyi@yahoo.com

ملخص المقالة

يستهدف هذا العمل إلى اقتراح طريقة استخراج المعاني المتباينة عبر ظاهرة الإحالة في النصوص العربية عامة. ويحصل الدارسون خاصة طلاب الدراسات الثقافية العربية الإسلامية عن طريقة استخدام هذه الظاهرة اللغوية على المغازي المختلفة تأخذ أيديهم إلى اختراع المعاني والمعارف القيمة للقضايا المتجددة المعاصرة. يتبع الباحث في إنجاز هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، ويتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث، المبحث الأول يعنى بمفهوم الإحالة ووظائفها وأنواعها، ويهتم المبحث الثاني بمواصفات وسائل الإحالة، بينما يركز المبحث الثالث على تحليل الحديث التاسع والعشرين من كتاب الأربعين النووية للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النوويّ ٦٧٦هـ. وقد توصل الباحث في نهاية هذا العمل على نتائج كثيرة، منها: أنه لا يرد للفظة (الإحالة) في المعاجم اللغوية معنى يناسب معناه المصطلحي. وأنها تساند في اقتصادية اللغة الإنسانية كما تؤيد الذاكرة البشرية في نظم النصوص. ولا تكتفي المعرفة النحوية في تحديد مرجع وسائل الربط الإحالية بل معرفة العالم الخارجي هي التي تحكم.

التمهيد

الإحالة (Reference)

احتلت الإحالة موقعا هادفا في الدراسات الإنسانية عامة، إذ تحدّث عنها كل من اهتم بالنشاط الفكري أو اللغوي من العلماء. وهي ظاهرة تقع عليها أرومة منظومات فكرية، فاللغة نفسها نظام إحالي، لأن النص لا يكاد يخلو من ضمير عائد، أو اسم إشارة، أو اسم موصول. ويحال أيضا على ما هو غير اللغة. "وقد درس اللسانيون والمناطقة هذه الناحية، ونظروا فيها من حيث اتصالها بالمقام، لكنهم لم يتجاوزوا فيها مستوى الجملة. بل إنهم درسوها خارج كل مقام، وإن اعترفوا بدور المقام في ضبط المعنى وإدراكه، حتى يتمكنوا من السيطرة على موضوع درسهم"^(١).

مفهوم الإحالة ووظائفها

الإحالة^(٢) لفظة أخذت من الفعل الرباعي المزيد بالهمزة، أحوال، "وأحوال الرجل إذا حالت إبله فلم تحمل. وأحوال فلان إبله العام إذا لم يصبها الفحل. والناس محيلون إذا حالت إبلهم... وحالت الناقة، والفرس، والنخلة، والمرأة، والشاة وغيرهن إذا لم تحمل"^(٣). ويقول الجوهري ٣٩٣هـ: "أحوال الرجل: أتى بالمحال (أي الغريب) وتكلّم به، وأحوال في متن فرسه، مثل: حال، أي وثب. وأحوال عليه بالسوط يضربه: أي أقبل. وأحوالت الدار وأحوالت: أتى عليها حول، وكذلك الطعام وغيره"^(٤).

ويلاحظ الباحث أن المعاني اللغوية الواردة للإحالة في المعاجم القديمة لم تؤيد اصطلاحيتها؛ بيد أن اللفظة "الإحالة" واردة في كتاب سيبويه ١٨٠هـ^(٥)؛ إلا أن

الإحالة في كتاب سيبويه تشير إلى الإتيان بشيء غريب، حوشي، منقوض، الذي لا يتعود عليه الناس، أو ينفر منه السمع؛ وليس بمعنى الإعادة إلى الشيء السابق أو اللاحق كما ظهر في معنى الإحالة حديثاً. وقد نلجأ في تفسير العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للإحالة إلى (العودة) نحو: عودة الحول ودورانه على الحياة، كما تحيل الإحالة إلى ما سبق ذكره آنفاً أو لاحقاً. ومهما يكن من شيء، فقد أتى المعجم المتوسط بمعنى لغوي للإحالة يقترب من معناها الاصطلاحي، وهو يقول: "وأحال القاضي القضية إلى محكمة الجنائيات: نَقَلَهَا إِلَيْهَا"^(٦). وفضلاً عن جدية هذا المعجم؛ فإنه أيضاً لم يكمن على المعنى اللغوي يطابق معناها الاصطلاحي المعاصر. وراجع الباحث أيضاً كتب المصطلحات النحوية^(٧) ولم يجد في أحد منها ما يشير إلى معنى الإحالة اصطلاحياً.

والإحالة اصطلاحاً؛ "Reference": "هي العلاقة بين العبارات، والأشياء، والأحداث، والمواقف، في العالم الذي يدل عليه، بالعبارات ذات الطبع البديلي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص أمكن أن يقال عن هذه العبارات إنها ذات إحالة مشتركة"^(٨). وعرفتھا الدكتورَة عزة شبل: "بـعلاقة دلالية تشير إلى عملية استرجاع المعنى الإحالي في الخطاب مرة أخرى، فيقع التماسك عبر استمرارية المعنى"^(٩).

يشير المؤلفان من خلال تعريفهما إلى تأسيس العلاقة وإعادة المعنى التي تعكسها الإحالة في الأحداث والمواقف في العالم الخارجي للخطاب أو النص. ويستخرج الباحث من خلال معاملته مع هذا الموضوع، أن الإحالة تساهم في عملية ربط الكلام بعضها ببعض، لأن الإنسان بما من الله عليه من القدرة البيولوجية التي تساعد على إنتاج اللغة وتطويرها، فإنه يستعين بوسائل الربط

الإحالية في مجال تطويل الكلام، واستمتاع به حتى يتسنى للمتحدث والمتلقي الحوار في حدود وقت فسيح، كما تعطيهم (الإحالة) قدرة الإسهاب بدون ملل. والإحالة ظاهرة لغوية قديمة معروفة عند علماء العرب القدامى بمصطلحات عديدة منها الربط بالضمير، والربط بالحرف، أو الأداة، والإبهام، والتفسير، والتعويض، والعوض، والبدل، والعائد، والعودة، والرجعة، ولكن اللغويين المحدثين تعوّدوا على استخدام مصطلح الإحالة^(١).

تلعب الإحالة دورا كبيرا في العبارات، وهي تشير وتعيّن المشار إليه في المقام الإشاري، كما تعود المشار إليه فتحيل عليه وترتبط به. وتستخدم الإحالة في الدراسات اللغوية أدوات منها: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، و(ال) العهدي... فهذه الكلمات لا تستقل بنفسها؛ ولكنها تحيل وتعيد إلى عنصر مذكور في أجزاء أخرى.

تقوم الإحالة على نوعين من الربط الدلالي، أحدهما: ربط دلالي يوافق الربط البنيوي (التركيب). أي القواعد اللغوية اللازمة التي تساعد كلا من المتكلم والمتلقي على إبلاغ الخطاب واستيعابه على وجه صحيح. والثاني: ربط دلالي إضافي: وهو الربط الإحالي (Connection Anaphora): وهو الذي يمدّ جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النص. فقاعدة م- تحكم "C-command" ومفهوم المجال "Domain" صالحان لدراسة الإحالة في الجمل والنصوص^(١١). أي إنه يشترط وجوبا في كل مضمّر أن يكون له مفسّر مناسب، يحكمه. وهذا التحكم يتم بصرف النظر عن موقع المفسّر "Antecedent" بالقياس إلى المضمّر، سواء أكان سابقا عليه أم لاحقا عليه.

المثال: نضت الفتاة عنها قميصها لصب ماء

الفتاة نضت عنها قميصها لصب ماء^(١٢)

يتبين من خلال التركيبين أن مركبا اسميا "الفتاة" يحكم الضمائر "ض" و"ي" وذلك وفق القاعدة التالية: "س" م- يحكم "ي" إن كان "س" يشرف على "ي"، وكان "ي" لا يشرف على "س"، وكانت العقدة المتفرعة الأولى التي تشرف على "س" تشرف على "ي"^(١٣).

وظائف الإحالة

إنتاج اللغة عملية معقدة تتكون من نشاطات وجهود جبارة؛ ذات أنظمة متسلسلة. يقوم بها المتحدث منذ أن نوى الحديث؛ ويتنقى من خزينته اللغوية ما دعا إليه المقام من المفردات؛ فيتلفظ بها حتى يصل إلى أذن المتلقي. ويستعين المتحدث والمتلقي في المناقشة ببعض عناصر؛ ومن بينها الإحالة. وإذا أحصينا وظائف الإحالة نجد أنها تشير إلى تأسيس العلاقة بين ما سبق ذكره في العبارة، أو ما يعوض عنه بالضمير أو غيره من أدوات الإحالة، ليتجنب التكرار في الكلام. تتحقق الاقتصادية في اللغة بواسطة توظيف الإحالة؛ حيث يقدر المتحدث كلمات، وتنوب أدوات الربط الإحالية عن هذه المفردات. إذ هذه الوسائل تشير إلى معنى محدد يغني عن الإطناب في النص^(١٤).

وقد أيدت هذه العملية الإحالية الذاكرة البشرية، حتى يسهل لها اختراق آثار المفردات المذكورة سابقا. وتقرن بينها وبين العناصر الإحالية الواردة قبلها أو بعدها، فتربط بين هذه المعاني فتجعل المخاطب فاهما للمعنى المطلوب. فمثاله ما جرى في بلاط ملك^(١٥): قال الملك: إيتِ بحجتك! ولا ترتجف، وإلا، سأمر بإعدامك حالياً". هذا لا يشجع الشهادة قط". فكلمة (هذا) تنوب عما قاله

الملك، وتضع علاقة السببية كلها على الشاهد. وتساهم الإحالة في تقديم المعلومات؛ وتحديد تركيب النص، وتنظيم الأفكار الأساسية للنص حتى يتمكن المرسل ترتيب أفكاره، ويسر للمتلقي فهم مضمون النص بكل سهولة. يحكي المرسل في كثير من الأحيان ما مضت من القضايا، أو ما سوف تحدث، ويستعين بالإحالة في تنظيم هذه الأحداث؛ حتى يتسق مع قدرة فهم المتلقي. وإذا غلط المرسل في وضع وسيلة من وسائل الربط الإحالية المناسبة داخل النص، فإن ذلك بالضرورة يؤدي إلى الخلل في الرسالة، ويتعب المستقبل أو القارئ في ربط محتويات الخطاب أو النص^(١٦).

تحرص الإحالة القراء على مواصلة القراءة، وتدفع المتحدث على مواصلة حديثه من دون ملل أو ضجر... يقول بروان ويول: "إن المحلل يثبت مرجعا في تصوره العقلي للخطاب؛ ثم يربط الإحالات اللاحقة له بتصوره العقلي لا بالصياغة الأصلية في النص"^(١٧). لا تقتصر فوائد الإحالة على الخطاب فحسب، بل تمتد إلى وجود المتعة في المقروء، أو الاستماع.

أنواع الإحالة ومواصفات وسائلها

إذا أمعنا النظر إلى كيفية تشغيل الإحالة في النص، نرى أنها تفرعت إلى قسمين أساسيين:

أحدهما: الإحالة النصية Textual :

وهي (إحالة داخل النص)، وهي التي يمكن لها أن تحيل إلى ما ذكر قبلها (السابق) (Anaphora) أو بعدها (اللاحق) (Cataphora). ومثال الإحالة النصية السابقة قوله: "من دل على نخبٍ فله أجر فاعله"^(١٨) حيث يحيل الضمير في

كلمة "فاعله" إلى الخير المذكور قبله. وأما اللاحق فمثاله قوله ﷺ: "آياتُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أتمنَّ حانَ" (٢٠). فهذه الأفعال الست: (حدث، وكذب، ووعد، وأخلف، وأتمن، وحن) تحتوي على الضمير المستتر (هو) يحال إلى المنافق (المفسر) في الحديث، وهو إذن إحالة لاحقة، لأنها تعود إلى المذكور آنفاً. ومما لا يجدر إغفاله في هذا الصدد؛ أن الاستعمال وحده هو الذي يحدد نوع الإحالة، سابقة كانت أو لاحقة (٢١).

ومن الإحالة النصية اللاحقة "الإحالة التكرارية" التي تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص مع هدف التأكيد، نحو: قوله تعالى: ﴿القارعة * ما القارعة﴾ (القارعة ١-٢)، فإن هذا التكرار يفيد الإحالة؛ إذا الكلمة الثانية تؤكد الأولى، وتحيل إليها.

الثاني: الإحالة المقامية Situational:

وهي (إحالة خارج النص)، وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي؛ بعنصر إشاري غير لغوي (أنا) للمتكلم. ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملًا إذ يمثل كائناً أو مرجعاً موجوداً مستقلاً بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم.

ومهما تعددت أنواع الإحالة فإنها تقوم على وجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له، وكذلك وجوب التعرف إلى الشيء المحال إليه في مكان ما. وهذه الشروط المذكورة المتوافرة (٢٢) بينهما لا يعني إلغاء الفروق بينهما. وبين هاليدي ورقية حسن في كتابهما المشهور، أن الإحالة المقامية تساهم في خلق النص (٢٣)،

لأنها تربط اللغة بسياق المقام، ولا تساهم في اتساقه بشكل مباشر. ولكن الإحالة النصية تقوم بدور ملموس بارز في اتساق النص.

هذا، وقد تعود إحالات عديدة إلى محيل واحد سبق ذكره في الكلام، نحو إعادة الضمائر المستترة في الأفعال من حديث المنافق المذكور سابقا إلى مفسر واحد (المنافق) فقط. وإعادة الإحالات تجعل المتحدث يبدع مواضع الإحالة التي ترتبط بين العبارة، حتى تتصل إلى الإحالة الأصلية، ويقترح بعض الباحثين ومنهم "براون وبول" "أن المحلل يثبت مرجعا في تصوره العقلي للخطاب؛ ثم يربط الإحالات اللاحقة له بتصوره العقلي لا بالصياغة الأصلية في النص"^(٢٤).

ومما يجدر الاعتناء به في هذا الموقف، معرفة العالم الخارجي في تحديد مرجعية الإحالة، فمع كون الإحالة عاملة دلالية، فإنه ينبغي أن يعرف المتحدث أو المحلل العالم الذي يقصده الكلام، إذ يحصل في بعض الأحيان إعادة الضمير الإحالي إلى مرجعين أو أكثر، فيصبح المرجع مشتركا؛ إلا أن الواقع الخارجي يميز مدى قوة العلاقة بين الإحالة والمحيل. وبالرغم من أن المعجم يقوم بشرح معاني المفردات، فإنه عاجز أن يحل هذه المشكلة، وإنما تحلها معرفة الواقع والعالم الخارجي، نحو: (أوقفتُ زينبُ سيارتها عند باب القاعة الجديدة)^(٢٥)، فإن كلمة (الجديدة) - المقترنة بالعهدي- صالحة لتحيل إلى زينب أو السيارة، أو القاعة. ولكن الموقف السياقي أو معرفة العالم الخارجي؛ هي التي تحدد ما تحيل إليه الكلمة. "فالبحث في الإحالة يتأسس على السؤال التالي: كيف تفسر الإحالة، وأي العوامل تلعب دورا في تفسير العملية؟. فليست المعرفة النحوية فقط كافية في تحديد عودة الضمير"^(٢٦)، ولكن معرفة العالم الخارجي هي التي تحكم، وهي تعد عاملا برجماتيا "Pragmatics" مهما عندما تكون المفاتيح النحوية ناقصة.

مواصفات وسائل الإحالة

أثبتته الدراسات اللغوية لدى العرب أن من وسائل الربط الإحالية الضمائر، واسم الإشارة، والأسماء الموصولة، و"ال" العهد^(٢٧). وحدد علماء اللغة المعاصرون هذه الوسائل في الضمائر، وأدوات المقارنة، وجمعوا بين الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة^(٢٨). ومهما يكن من شيء، فإن وسائل الربط الإحالية برمتها تملك خصيصة واحدة، ألا وهي أنها لا تخضع لقيود نحوية فقط، ولكنها تخضع لقيود دلالية أولاً؛ وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والمحال إليه. ووسائل الربط الإحالية مشتركة في أوصاف عديدة، منها أن لهذه الألفاظ الإحالية مدى أوسع من حيث إمكان التطبيق، فقد يمكن استبدال بعض الأدوات الإشارية بعضاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة الآية: ٨٥). وقعت كلمة "ذلك" موقع المفعول به للفعل (يفعل)، وسدّت بذلك مسدّ الظاهر الذي ورد الفعل في السياق سابقاً. فجاءت كلمة "ذلك" بمثابة الضمير العائد على متقدم إيجازاً واختصاراً^(٢٩). والتقدير في غير القرآن هو: (فما جزاء من يفعله منكم).

ومن خصائص الوسائل الإحالية أنها خالية من أي محتوى ذاتي، حيث لا تملك واحدة منها أن تؤثر في العبارة وحدها بدون الإعانة من المفسرات. وهي تعد أدوات تستخدم لإكمال معنى التركيب، نحو: قوله: "مَنْ عَشَّئْنَا فَلَيْسَ مِنَّا". فالإحالة الضمير المستتر (هو) في الفعل (ليس) يحيل إلى (مَنْ)، فالضمير المستتر (هو) وسيلة من وسائل الربط الإحالية؛ لا تؤثر في الحديث وحدها بدون الإعانة

والمراجعة إلى المفسّر (مَنْ). ولا يعني هذا أنّها لا تفيد، إذ بدونها لا يتم معنى المفردات، ولا تنيب عنها أداة أخرى سوى هذه الأدوات الإحالية^(٣٠).

وتخضع هذه الوسائل الإحالية لقيود محدودة على ورودها؛ حتى لا يتحول الفهم إلى إشكال لا ضرورة له. ويرجع السبب في ذلك إلى أن لكل وسيلة من هذه الوسائل معنى وهدفاً تؤدّيه في كل موقعة وقعت فيها، ففائدة الضمير تختلف عن اسم الإشارة، أو الاسم الموصولي أو غيره... وإذا لا يراعي المتحدث هذه المعاني النمطية لكل أداة، فإن ذلك يفضيه إلى الالتباس والغموض في حديثه، ولا يستطيع أن يبرز للمخاطب ما يوّدّه في تنظيم المفردات اللغوية^(٣١).

ومن مواصفات وسائل الربط الإحالية، تأخرها عن مراجعتها؛ أي إتيانها بعد الألفاظ المشتركة معها (المفسّر) في الإحالة أكثر احتمالاً من ورودها متقدمة عليها^(٣٢)، لأن ذلك يهيئ أن تضاف إليه المادة المتعلقة باللفظ الإحالي. وذلك يرجع إلى المعنى اللغوي لهذه المفردة، حيث يلزم الرجوع إلى ما سبق ذكره، وتربط مكونات النص بعضها ببعض. وأسهل على الإنسان عادة، استرجاع ما سبق من استدراك ما يأتي بعد، أو ما لم يحدث بعد^(٣٣).

وتحتاج هذه الألفاظ الإشارية إلى شكل خارجي متميز، فالضمائر تختلف عن أسماء الإشارة، وتباينت الأسماء الموصولة عن "ال" العهد أو أي عنصر آخر من هذه العناصر. فكل وسيلة من هذه الوسائل الإحالية تمتلك شكلاً خارجياً خاصاً، لا تشترك معها فيه وسيلة أخرى. وهذه الوسائل الربطية لم تتركز على مستوى واحد في الرتبة التعريفية. وقد رتبها البروفيسور تمام حسان في ترجمته للكتاب "النص والخطاب والإجراء" على التوالي: اسم علم، ووصف محدد، والأسماء الدالة على الأقسام الكلية، والضمائر^(٣٤). ويشور الباحث في هذه

الآونة، ضرورة إدراج أدوات الشرط^(٣٥) مع أدوات الربط. لأنها تتصف بكثير من الأوصاف التي تتميز بها وسائل الإحالة. فهذه الأدوات تحكم معاني التراكيب، وإذا تغافل المتحدث عن وضعها في الأمكنة المناسبة؛ فإن ذلك يؤدي إلى الالتباس والغموض في استيعاب معنى الجملة أو النص عامًا. ومما دفع الباحث^(٣٦) إلى اقتراح دمج أدوات الشرط مع وسائل الربط الإحالية هو أننا إذا أمعنا النظر في مواصفات وسائل الربط الإحالية المذكورة أعلاها برمتها، نجد أنها تتحقق أيضا في أدوات الشرط. إذ يتم توظيفها بقيود محدودة، وهي خالية أيضا من أي محتوى ذاتي، حيث لا تعمل إلا بمشاركة المفردات اللغوية، كما اتصفت بمدة واسعة في إمكان التطبيق. وإذا وجدنا هذه المواصفات فيها فلا حرج في إدراجها إلى قائمة وسائل الربط الإحالية. ونستدرك بها أعمال الباحثين السابقين في هذا المضمار العلمي الموضوعي.

التحليل الإحالي للحديث التاسع والعشرين

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله!: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قال: ((لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)). ثم قال: "ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار. وصلاة الرجل في جوف الليل)) ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ حَتَّىٰ بَلَّغَ "يَعْلَمُونَ"﴾ (السجدة). ثم قال: "ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟. قلت: بلى يا رسول الله. قال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة،

وذروه سنّامه الجهاد". ثم قال: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟. قلت بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه وقال: "كفّ عليك هذا". قلت: يا نبيّ الله، وإنّا لمؤاخذون بما نتكلّم به؟! فقال: "تكلّمتك أمك^(٣٧)! وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم- أو قال- على مناخرهم- إلا حصائدُ ألسنتهم". رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح".

مظاهر الإحالة في الحديث:

وقعت الإحالة في الأفعال التالية من الحديث: (أخبرني، ويُدخلني، ويُباعدي) حيث يحيل نون الوقاية إلى المتكلم المفرد المتلقي للحديث، وهو إحالة مقامية^(٣٨) لأنها لم يسبق لها ذكر المحال في النصّ آنفاً، ولذلك سميت بالإحالة خارج النص، وهي تربط اللغة بسياق مقام غير مباشر. ونجد الإحالة النصية السابقة في (سألت) حيث يحيل التاء المتصل إلى المتلقي. كما وجدت الإحالة في الضمير المتصل (إنه) (الهاء) يحيل إلى السؤال الموجه من المتلقي إلى الرسول، كما يشير إلى السؤال نفسه الضمير المتصل بالفعل (يسره) إلى السؤال مرة ثانية، ليبين مدى صعوبة تحقيقه إلا لمن سهّله الله له؛ وهي إحالة نصية سابقة. وقعت الإحالة أيضاً في الضمير المتصل (عليه) وهو يعود إلى (من) الاسم الموصول المذكور آنفاً في النص. وهي إحالة نصية سابقة، لأنها تعود إلى ما سبق ذكره في النص.

وحصلت الإحالة النصية اللاحقة في ذكره ﷺ هذه العناصر التالية: (عبادة الله وحده، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت) كل هذه النشاطات العملية يندرج تحت إحالة نصية لاحقة، إذ ذكر جملة ثم أشار

إليها بالتفصيل فيما بعد من النص. وتوجد الإحالة كذلك في (قال) وهي ضمير مستتر جوازا يعود إلى الرسول، حيث يسأل هل يريد السائل المزيد عن أبواب الخير. كما وجدت الإحالة في ذكره ﷺ لما احتوت عليها من أبواب الخير، (الصوم، والصدقة، وصلاة الليل) كلها إحالة نصية لاحقة، لأنها هي المقصودة بأبواب الخير.

ونجد الإحالة في (أخبرك) يحيل إلى السائل، والضميران في الكلمات التالية: (عموده، وذروة سنامه) كلاهما إحالة إلى رأس الأمر المذكور قريبا في النص، لأنها توضح ماذا يحتوي عليه رأس الأمر. وكل هذه الإحالات برمتها إحالة نصية سابقة، تساهم في ربط النص، وسهولة توصيل المضمون إلى المتلقي. ونجد الإحالة في (الهاء) (كُلُّه) الضمير المتصل يحيل إلى اسم الإشارة مؤكداً لـ(ذلك) المذكور قبله لأنه مؤكد (الملاك)؛ وأما ما يشير إليه اسم الإشارة (ذلك) المذكور آنفاً؛ وهي جملة (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)، وهذه الإحالات جمعاء إحالة نصية سابقة.

ونجد الإحالة وهي الضمير المتصل في (قلت) تحيل إلى المتلقي، الذي يسأل الرسول، وهناك ضمير مستتر (هو) في الفعل: (أخذ) والضمير المتصل بالاسم و(بلسانه) يحيلان إلى الرسول. ونجد إحالة أخرى في (قال) يحيل إلى الرسول ﷺ أيضاً، وكل هذه الإحالات إحالة نصية سابقة، إذ كلها تعود إلى اسم مذكور في النص، أو مفهوم في داخل النص. وقد لا نستطيع أن نعرف أهمية هذه الإحالات إلا إذا جربنا إبراز هذه الضمائر، أو الأعلام المستترة، فسنرى كيف يكون النص مشوسا، ومنفورا عن الطبيعة^(٣٩).

ولا تقتصر الإحالة على ما سبق ذكره فحسب، بل امتدت إلى (نتكلمُ به) الضمير المتصل (الماء) عائد يميل إلى (مَا) الموصول الحرفي المذكور قريباً، وفي (تكلّمكُ أمك) الضميران (الكاف) وهما يميلان إلى المتلقي أي الراوي للحديث. ووجدت الإحالة في (وجوههم، ومناخرهم، وألسنتهم) فهذه الضمائر المتصلة تحيل إلى اللفظ (الناس) المذكور في النص سابقاً؛ لأنها توضح ما يتعلق بهم، واستغنى المتحدث عبر هذه الإحالات عن ترديد لفظ (الناس) الذي يؤدي إلى الإسراف اللغوي المخل، ويجعل كلّ من شارك في الحوار سائماً من اتباع الحوار، إذ كرّر فيه ما لا يحتاج إليه النص.

وفي الختام، نستنبط من هذه الدراسة أن الإحالة تساهم مساهمة بارزة في تنظيم الفحوى والمغزى التي يودّ المتحدث التقاءها إلى المتلقي أو السامع. ولو استهان المتكلم بهذه الظاهرة لالتبس الأمر عليه وعلى المستمع على سواء، إذ هو بنفسه يعجز عن إتمام المعنى المقصود الذي يودّ أن يقدمه للمستمع أو القارئ. وكان بالإمكان إزاء هذه الشروح الإحالية إثبات أهمية الإحالة التامة في الخطاب النبوي الشريف أو في غيره من النصوص المكتوبة والمسموعة.

نتائج البحث

توصّل الباحث في نهاية هذا البحث على نتائج كثيرة، ومن أهمها ما تلي:

- (١) لا يرد للفظة (الإحالة) في المعاجم اللغوية معنى يناسب معناه المصطلحي.
- (٢) تساند الإحالة في اقتصادية اللغة الإنسانية كما تؤيد الذاكرة البشرية في تنظيم النصوص.

- (٣) لا تكتفي المعرفة النحوية في تحديد مرجع وسائل الربط الإحالية ولكن معرفة العالم الخارجي هي التي تحكم المرجع.
- (٤) تشترك وسائل الإحالة في مواصفات خاصة، وأن أدوات الشرط صالحة لتكون وسيلة من وسائل الإحالة.
- (٥) تثبت ضرورة الإحالة وأهميتها من خلال التحليل الإحالي في الحديث النبوي.

الهوامش والمراجع:

- (١) الأزهر الزنّاد، نسيج النص، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣)، ص ١١٥.
- (٢) وهو مصدر من الفعل الرباعي أحال نحو أقام، على وزن أفعل، حيث يقع عين فعله معتلة، وقد أعل المصدر حملاً على فعله، فتنقل حركة عينه إلى الساكن قبلها وهو الفاء، ثم تقلب العين -وهو- الواو- ألفاً، فيتوالى ألفان، بدل العين، وألف "إفعال" ولا يمكن النطق بهما، فتحذف الثانية ثم يؤتى بالتاء عوضاً، فيقال: إقامة، وإحالة، ووزن مصدره يأتي على صيغة إفعال: إلا أن الإحالة كانت عينه واوا فأبدلت الواو تاءً في المصدر فصار إحالة، نحو إقامة وإجازة.. على رأي الجمهور إفعلة، وعلى مذهب الأخفش: إفالة.. للمزيد انظر عبد الله بن يوسف ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)؛ ج٤، ص٤٣٩.

- (٣) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج ١١، ص ١٩٠.
- (٤) الجوهري، الصحاح، ج ٤، ص ٤٨٦.
- (٥) عمرو بن عثمان بن قنبر "سيبويه" الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج ١، ص ٥٢.
- (٦) إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسيط، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)؛ ج ١، ص ٢٠٩؛ ويقول التهانوي: الإحالة عند الحكماء عبارة عن تغيير الشي في الكيفيات كالتسخين، والتبريد، ويلزمها الاستحالة؛ كالتسخن، والتبرد..؛ انظر محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج ١، ص ١٠٧.
- (٧) نحو ما قدمه جورج متري عبد المسيح، وهاني جورج تابري: الخليل معجم مصطلحات النحو العربي، (بيروت: مكتبة لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)؛ وعزيرة فوال بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)؛ ولم يجد فيهما الذكر لمصطلح الإحالة.
- (٨) أطلق هالدي ورقية حسن عليها في كتابهما المشهور Cohesion in English بـ"Reference". وأطلق عليها ديوجراند وديسلر مصطلح "الصيغ

الكنائية"، واستخدم براون ويول مصطلح "الإحالة المتبادلة" أو "الإحالة النصية". وأطلق علماء علم اللغة النصي العرب عليها ترجمات كثيرة، منها: الإحالة، والإرجاع، والإرجاعية، أو المرجعية، نسبة إلى المرجع ولكن الترجمة الأكثر استخداما هي الإحالة. للمزيد انظر: Halliday Michael & Ruqaiya Hassan. *Cohesion in English*. London, Longman. وروبوط دي بواجراندي، النص والخطاب والإجراء، ترجمة حسان تمام، (القاهرة: عالم الكتب، (د ط)، ١٧٤١٧/هـ ١٩٩٧م)، ص ٣٢٠؛ و محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، (القاهرة: مركز الثقافى العربى، ط ١، ١٩٩٤م)، ص ١٦.

(٩) عزة شبل محمد، علم لغة النص (النظرية والتطبيق) (القاهرة، مكتبة الآداب، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م)؛ ص ١١٩؛ للمزيد عن تعريف الإحالة اصطلاحا انظر: خطابي، لسانيات النص، ص ١٧؛ والزناد، نسيج النص، ص ١١٨، وصبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، (القاهرة: دار قباء للطباعة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)؛ ص ٣٨.

(١٠) للمزيد عن هذا المصطلح انظر: خطابي، لسانيات النص، ص ١٧؛ والزناد، المصدر السابق، ص ١١٦؛ والفقي، المصدر السابق، ص ٣٨؛ وعاصم علي شحادة صالح، مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب النبوي، "رقائق صحيح البخاري نموذجاً"، (بحث لنيل دكتوراه في العلوم الإنسانية في اللغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م)، ص ٤٨؛ وسيتي سارا، الإحالة

الاتساقية في النصوص القرآنية في سورتي البقرة وآل عمران، (بحث لنيل درجة الدكتوراه في اللغويات، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ٢٠٠٩م)، ص ٦٣.

(١١) انظر الزناد، نسيج النص، ص ١٢٢.

(١٢) منقول من ديوان أبي نواس بتصريف، للمزيد انظر الزناد، المصدر السابق ص ٦٠.

(١٣) الزناد، المصدر السابق، ص ١١٠، و ١٢٣.

(١٤) انظر الفقي، علم اللغة النصي، ص ٣٩.

(15) "Give your evidence" said the king, and do not be nervous, or I'll have you executed on the spot". **This** did not encourage the witness at all.

انظر دي بجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ٣٢٣.

(١٦) انظر الفقي، المصدر السابق ص ٤٠.

(١٧) انظر عزة، علم لغة النص، ص ١٢١.

(١٨) انظر خطابي، لسانيات النص، ص ١٧؛ الزناد، نسيج النص، ص ١١٨؛ والفقي، علم اللغة النصي، ص ٣٨؛ وعزة، علم لغة النص، ص ١٢٣.

(١٩) محمد بن فتوح حميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق علي حسين البواب، (بيروت: دار ابن حزم، ط ٢، ٢٠٠٢م)، ج ٢، باب الرقم: ٨٠٠.

(٢٠) أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري، النيسبوري، صحيح مسلم، قدّم له، و صححه، و شرح غريبه أحمد شمس الدين، (بيروت: دار الكتب

العلمية، ج ١، ص ٨٢)، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم الحديث ٩٢.

(٢١) انظر خطابي، لسانيات النص، ص ١٧؛ وانظر الزناد، نسيج النص، ص ١١٥.

(٢٢) هناك تقسيمات أخرى للإحالة فرّعها الزناد، ومنها إحالة باعتماد المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسّره، كما قسّمها حسب عامل الإحالة في النصوص، وأخرى حسب عناصر الإشارية، وأخرى حسب العناصر الإحالية... للمزيد انظر: الزناد، نسيج النص، ص ١٢٣؛ وخطابي، لسانيات النص، ص ١٧؛ وعزة، علم لغة النص، ص ١٢٤.

(٢٣) Halliday & Ruqaiya, **Cohesion in English**, pp. 69.

(٢٤) عزّة، علم لغة النص، ص ١٢١.

(٢٥) يعد (ال) العهدي من وسائل الربط الإحالية، لأنه يشير إلى ما ذكر من قبل.

(٢٦) عزّة، المصدر السابق، ص ١٢١.

(٢٧) تمثل الإحالة أبرز السمات التي تقوم عليها العناصر اللغوية. وهذا المصطلح يجمع قسماً كبيراً من العناصر المعجمية التي لا تفهم إلا بالتفطن إلى صلتها بما تحيل عليه... وبعض العناصر المعجمية الأخرى من قبيل: نفس، وعين، وبعض، الخ... وتوسعت وسائل الإحالة عند بعضهم توسعاً كبيراً حتى استوعبت بعض الموضوعات اللغوية نحو: التوابع، وظرفي الزمان والمكان، واسم التفضيل، والتنوين عن العوض، والضم، وبعض المصادر،

وبعض المفاعيل.. للمزيد انظر الزناد، نسيج النص، ص ٧٦؛ وعزة، علم لغة النص، ص ١١٩؛ وسيتي سارا، الإحالة الاتساقية، ص ٦٣.

(٢٨) انظر خطابي، لسانيات النص، ص ١٦.

(٢٩) عمارة، خليل. آراء في الضمير العائد ولغة "أكلوني البراغيث"، (دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م). ص ٩١.

(٣٠) انظر دي بجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ٣٢٠.

(٣١) المصدر السابق، ص ٣٢٠.

(٣٢) القاعدة التوظيفية للإحالة: "س" يحكم "ي" إن كان "س" يشرف على "ي"، وكان "ي" لا يشرف على "س"، وكانت العقدة المتفرعة الأولى التي تشرف على "س" تشرف على "ي". الزناد، نسيج النص، ص ١١٠.

(٣٣) انظر دي بجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ٣٢٧.

(٣٤) انظر دي بجراند، المصدر السابق ص ٣٢٢.

(٣٥) أدوات الشرط تجزم الفعلين، وهي أربعة أنواع: حرف باتفاق، وهو "إن"، وحرف على الأصح، وهو "إذما"، واسم باتفاق، وهو: "مَنْ، وَمَا، وَمَتَى، وَأَيَّ، وَأَيْنَ، وَأَيَّانَ، وَأَيُّ، وحيثما". واسم على الأصح، وهو "مهما". وكل منهن يقتضي فعلين يسمى أولهما شرطا، وثانيهما جوابا وجزاء. للمزيد انظر: سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٩٥؛ ابن هشام، أوضح المسالك، ج ٤، ص ٢٠٤؛ وعلي بن محمد الأشموني، شرح الأشموني

على ألفية ابن مالك، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د/ط، د/ت)،
ج ٣، ص ٢٤٠.

(٣٦) المقصود بهذا العمل هو الرسالة المقدمة لنيل الدرجة الدكتوراه للكاتب تحت عنوان: الربط اللغوي في الحديث النبوي، "كتاب الأربعين النووية نموذجاً" بحث لنيل الدرجة الدكتوراه في اللغويات (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، أكتوبر، ٢٠١٢م).

(٣٧) ثكل الولد، أو الحبيب، فقد، ومعنى (ثكلتك أمك) دعاء عليه بالهلاك، أو لمجرد الدعاء، ظاهره الدعاء بالموت عليه، وليس هو المراد، بل هذا مما جرت له عادة العرب للتحريض على التيقظ أو لاستعظام شيء بحسب مقتضى المقام. إبراهيم أنيس وشركاؤه، المعجم الوسيط، ج ١، ص ١٠٣؛ وعبد الله سعد الدين، شرح النفتازاني على الأحاديث الأربعين النووية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ص ١٨٧.

(٣٨) وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، وهي تساهم في صناعة النص، لأنها تربط اللغة بسياق المقام. وقد سبق الكلام عن الإحالة آنفاً في هذا البحث: للمزيد انظر: خطابي، لسانيات النص، ص ١٧؛ والزناد، نسيج النص، ص ١٢٢؛ وعزة، علم لغة النص، ص ١٢١.

(٣٩) لو جرّد النص التالي عن الإحالة: (قال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد"). ثم قال: "ألاً أخبرك بملاك ذلك

كله؟) ويصبح ما يلي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الأمر الإسلام، وعمود أمر الإسلام الصلاة، وذروة سنام الإسلام الجهاد، ثم قال الرسول: ألا أخبر (أنا) رسول الله (أنت) معاذ بن جبل بملاك رأس الأمر الإسلام، وعمود أمر الإسلام الصلاة، وذروة سنام الإسلام الجهاد، كله؟. نجد في هذا النص الإطناب المخمل والخلل الشديد، والإسراف اللغوي، وصرف طاقة البشرية هدرا، فضلا عن صرف الطاقة الذهنية وغيرها من العيوب اللغوية. فالإحالة أخرجتنا من هذا الإسراف، ووظفنا الاقتصاد في كل جوانب. إذن، فالإحالة جانب من الجوانب الاقتصادية اللغوية، وتقلل طاقاتنا الصحية والعقلية.